مناجاة الارواح

او السپيريتسم

نكتب هذا الفصل اجابةً لاقتراح بعض مشتركينا الالبّآء نورد فيهِ زبدة اقوال الباحثين من غير ان نتصدَّى لتأييد شيءٍ منها او نقضهِ لان الامر لا يزال الى الآن من ورآء المدارك العلمية والعقلية ولذلك افترقت فيهِ مذاهب اهل العلم فمنهم من انكرهُ بتةً لخفآء وجههِ و بعدهِ عن سَنَن الاحوال الطبيعية ومنهم من اعتقدهُ اعتقاد الحقائق المسلَّمة ذهاباً الى أن في الطبيعة اسراراً لا يَسَع الوجدان انكارها وان لم تقع في حيز المعقول

ومناجاة الارواح من الامور القديمة العهد بل لعلها من اقدم ما ذُكر في تاريخ الانسان وهي شائعة عند جميع امم الارض حتى عند القبائل الهمجية . وكان المتعارَف الى اواسط القرن التاسع عشر انها تتم اما باستحضار الارواح على ما يفعلهُ اصحاب هذا الشأن واما بحضورها في الحلم ثم انها من ذلك التاريخ انتقلت الى طورٍ آخر اذ اخذ الباحثون في استقرآء ما يحدث فيها من المعاينات والمسموعات والنظر فيما بينها من المناسبات حتى جعلوها علماً قائماً بنفسهِ وصار لها رجالٌ مخصوصون يبحثون في اسرارها وينقطعون للاشتغال بها

والظاهر ان هذا الطور الجديد اول ما ظهر في اميركا وكان ظهورهُ على اثر ما شاع من امر الموائد المتحركة وذلك نحو سنة ١٨٤٣ . وكيفية امر هذه الموائد ان يعمد جماعةٌ الى مائدة مستديرة ذات ثلاث قوائم فيقفون او يجلسون من حولها ويضعون اكفّهم على اطرافها و بعد ان يأتي على ذلك

نحو عشر دقائق الى نصف ساعة يُسمَع من المائدة صوت طرقٍ خفيف ثم تأخذ في حركةٍ نَوَدَانية فتميل على احد جوانبها ثم تعود و بعد حين تدور على نفسها وقد يكون دورانها في غاية السرعة . وهم يقولون انها تتحرك كذلك من تلقآء نفسها لا بتحريك ايديهم لها ويزعمون أن هذه الحركة فيها تتمّ بمثل السيّال الذي يحدث عنهُ النوم المغناطيسي

وقد انتشر امر هذه الموائد في المانيا سنة ١٨٤٦وفي فرنسا سنة ١٨٥٣ الا ان الاميركان لم يكتفوا بكونها تتحرك فحاولوا ان يجعلوا تلك الحركة ذات معنى و بعبارةٍ اخرى ان يجعلوها تتكلم . وذلك انها بعد استوآء الجلوس حولها ووضع ايديهم عليها تميل على اثنتين من قوائمها الثلاث وترفع الثالثة ثم تحطها وتعود فترفعها وهكذا على التعاقب واذ ذاك يعدّد واحدٌ من الحضور حروف الهجآء فتميل المائدة عند ذكر كل حرف حتى اذا بلغ الى احد الحروف تميل ميلةً اعظم وتردّ رجلها بعنف ثم تقف فيقيَّد ذلك الحرف ثم يعاد العمل الى ان يبلغ الى حرفٍ آخر فتفعل كذلك الى ان يتم هجآء الكلمة او الكلمات التي تريد ان تقولها . قالوا ولا بد لحدوث ذلك من وجود شخص بين الواضعين ايديهم على المائدة قد امتاز بقوةٍ خاصة تميل المائدة الى جهتهِ ويزعمون انها انما تتحرك بروحٍ ينبثّ فيها بتوسُّط الشخص المذكور ولذلك يسمَّى عندهم بالوسيط وأن هذا الروح هو الذي يجاوب . وهو يكون على الغالب روح متوفًّى من اقارب احد الحضور وقد يكون روح احد الاحيآء من الغائبين عن الحضرة او روح رجلٍ شهير وربما استخدموا روحاً مجازيّاً كروح الحكمة ونفس الارض وغير ذلك

وهناك امرٌ اغرب مما ذكر وهو أن المائدة على ما زعموا ترتفع احياناً تحت يدي الوسيط حتى لا يبقى اتصالٌ بينها وبين الارض . وهذا الارتفاع لا يتم غالباً الا بعد ان تنود اي تميل وترجع مراراً كثيرة لكنهُ احياناً يتمّ ابتداءً بحيث انهُ لو كان على المائدة شيءٌ لم يتغير عن وضعهِ . وبعد ارتفاعها تبقى عدة ثوانٍ في الهوآء واذا تُحومِل عليها والحالة هذه تنزل قليلاً ولكنها تعود الى ارتفاعها حالما يُرفَع الضغط عنها حتى كأنها قائمة على نابض (زنبلك) . ويروون من هذا القبيل اموراً منها ان بعض الاجسام تتحرك او تنتقل من مواضعها دون ان تمسّها يد الوسيط وذلك كأن تنتقل اشياء من المكان المجتمَع فيهِ الى خارجهِ او كأن تنتقل بعض قِطَع الاثاث عن مواضعها او يُسمَع صوت آلةٍ موسيقية في المكان دون ان يمسّها احد واشباه ذلك . بل الوسيط نفسهُ على ما يزعمون يرتفع احياناً في الهوآء الى مسافةٍ ما . قالوا وامثال هذه الامور لا تتمّ الا في الظلام

ومن ذلك ان بعض الموادّ تخترق الحُجُب وذلك كأن يكون شيء في صندوق فيخرج منهُ والصندوق مُقفَل ومختوم وكأن تكون حلقاتٌ متداخلة فينفكّ بعضها من بعض من غير ان يكون فيها انفصام او كتابٌ في خزانة فيخرج منها الى غير ذلك وهذه ايضاً لا تحدث الا في الظلام

ومما ذكروا ان اشياء رُؤيت طائرةً في الهوآء وهي تتألق نوراً وذلك من نحو ايدٍ او رؤوس او من نحو صورة وجهٍ او طيف وهذا الاخير نادر الحدوث . قالوا وربما ظهر شخص كامل يذهب ويجيء ويتكلم ويمكن لمسهُ وهذه الطيوف تظهر احياناً في الظلمة ولكنها قد تظهر في النور واكثر

ما يكون ظهورها حيث لا يُتوقع فتظهر في حجرة او في الطريق او في الصحرآء والذي يظهر كذلك يكون واحداً من الاموات يتجلى لأحد انسبآئهِ او خلاّنهِ وذلك في حين مفارقتهِ للحياة

ومن ذلك انهم يضعون على مائدة لا تصل اليها يد احد او في ضمن علبة مُقَفَلة قطعة ورق وقلم رصاص و بعد حين يُفتقَد الورق فيوجد مكتوباً. وقد يجلس الوسيط على كرسيّ فلا يلبث ان تستحيل هيئتهُ ويتبدل صوتهُ ولهجتهُ وعلى الجملة يفقد مميزاتهِ الشخصية ثم يتكلم فيكون كأن شخصاً آخر يتكلم فيهِ و بعبارةٍ اخرى كأن روحاً قد استولى على اعضائهِ واستخدمها. فيجيب عن الاسئلة التي تُلقَى عليهِ ويخبر بامورٍ هو يجهلها اصلاً ولكنها تكون من معلومات الروح الذي حلّ مكان روحهِ وقد يكون ذلك الروح طبيباً فيشير على المرضى بما ينفعهم ويذكرون أُناساً قد شُفُوا بهذه الطريقة

واخيراً فانهُ يقال انهم يصوّرون الارواح فاذا جآءهم من يطلب صورة احد المتوفَّين من اهلهِ اجلسهُ المصوّر تجاه الآلة الفوتغرافية واخذ صورتهُ كالعادة ولكن عند كشف الصورة على الصفيحة الزجاجية يُرى بجانب صورتهِ رأسٌ قد يكون ذا ملامح واضحة هو رأس الروح. قالوا وكثيرٌ من الناس من عرف اباهُ او امهُ او ولدهُ لكن من الناس من لم يثبت لهُ شيءٌ من ذلك

على ان هذا الامر لم يلبث ان ظهر انهُ كان ضرباً من الاحتيال وذلك ان رجلاً من اهل باريز يقال لهُ بُوجّاي اعان نحو سنة ١٨٧٥ انهُ يصوّر

الارواح وعيّن ثمن الصورة ٢٠ فرنكاً فجعل الناس يتواردون عليهِ وكان يفعل كما ذُكر . غير ان الصور كانت تصدق حيناً وتخلف آخر على ما تقدّم فكان ذلك مما نبه العيون اليهِ وآخر الامر تبين انهُ كان عندهُ اشباح يستخدمها لاخذ صور الارواح وهي تماثيل صغيرة من الجِصّ لا رؤوس لها ورؤوسٌ من الورق قد قطعها من صور فوتغرافية قديمة . فكان كما حكى عن نفسهِ اذا جاءهُ الطالب ارسلهُ الى صاحبة الصندوق ليؤدي اليها ثمن الصورة فتسألهُ عن غرضهِ وتستدرجهُ لمعرفة شيء من حِلية صاحب الروح الذي يريد تصويرهُ فاذا انهت اليهِ ما علمتهُ من الطالب اخذ احد تلك التماثيل الصغيرة وغطاهُ بنسيج ابيض وجعل فوقهُ رأساً من الرؤوس الفوتغرافية التي عندهُ مما يظن انهُ اقرب شَبَهاً الى الهيئة التي وصفتها لهُ المرأة ثم يعمد الى الطالب فيأخذ صورتهُ على نحو ما تقدّم وقبل أن يكشفها يأخذ صورة التمثال على الزجاجة نفسها فتظهر الصورتان معاً

ولما ظهر امرهُ رُفع الى القضآء فاعترف بصنيعهِ فحُكم عليهِ بالسجن وبعد ان لبث فيهِ مدةً فرّ منهُ وخرج الى بلاد البلجيك وكان اول شيء عملهُ هناك انهُ نشر بياناً ذكر فيهِ قصّتهُ وصرّح بان عملهُ كان احتيالاً ولكن الناس مع جميع ذلك لم تكفّ عنهُ وما برحوا يأتونهُ في طلب تصوير موتاهم فعاد الى ما كان عليهِ . على ان كثيرين غيرهُ يتعاطون الامر نفسهُ ولا يزالون يفعلون ذلك الى هذا اليوم (١)

(١) ذُكر لنا ان واحداً من اكابر عقلآء المصريين كان في صيف هذا العام يسيح في اوربا فافضى بهِ طوافهُ الى احد اولئك الممخرقين فاخبر انهُ استحضر لهُ

وقد اشتغل اهل العلم بهذه الامور لشهرتها بين الجمهور وكثرة ما يُروَى منها وجزم المشاهدين بصحتها وكان اشدّ الاهتمام بها في انكلترا واميركا فانهم عقدوا لها عدة اجتماعات في مواعيد مختلفة فلم تسفر مباحثهم عن فائدة لان منهم من حكم بنفي صحتها بتاتاً وحمل كل ما يظهر منها على التمويه والاحتيال ومنهم من حكم بصحة جميع تلك المشاهدات على التقريب .

ومن الذين تفرغوا لهذا الفحص في انكلترا الكيماوي الشهير وِليَم كرُوكْس فانهُ بحث في هذه المسائل بحثاً دقيقاً وعانى اختبارها بنفسهِ متدرّجاً من اسهلها حلاً الى اشدّها غرابةً واشكالاً فكان يظهر لهُ المشهد بعد المشهد وفي آخر الامر ظهر لهُ روحٌ بمنظر فتاة صغيرة السنّ فحادثها في امورٍ مختلفة ثم تجسمت لهُ الى حدّ انهُ وزن ثقلها وتسمّع الى حركات قلبها ورئتيها

وتألفت بعد ذلك في انكلترا جمعيةٌ مخصوصة لهذا الفحص وقد طُبعت نتيجة فحصها سنة ١٨٨٦ في مجلدين ضخمين نسقت فيهما وصف ما كان يظهر لها من المشاهد فأثبتت صحة اكثرها وعلى الخصوص ظهور الاموات .

وممن استقرى هذا البحث المسيو فلاماريون الفلكي المشهور وخصوصاً ما يتعلق بالمسئلة المذكورة اي مسئلة ظهور الاموات فأثبت صحة ذلك بناءً على شهادة عددٍ كبير من الناس ممن سمعوا لفظ الميت أو ابصروا ملامحهُ . ومثل ذلك مسئلة المائدة التي ترتفع عن الارض فانها ثبتت لهُ بشهادة اناسٍ لا ريب في صدقهم قال على ان المسئلة لا تحتمل ان تكون من باب التمويه

روح والدتهِ وانهُ كلما فسمع لفظها بعينهِ ثم صوّرها لهُ فكانت الصورة منطبقة على هيئتها تمام الانطباق كانها صُوّرت وهي حية . . .

لرجوعها الى حكم الحسّ الظاهر ولأن التمويه في مثل هذا لا يكون الاّ في موضعٍ مخصوص مُعدّ لهذه الشعوذة . وكذا يقال عن بقية المشاهدات وان اختلف موضعها من اليقين بالقياس الى كثرة حدوثها وقلّتهِ وبالتالي الى عدد الشهود الذين يحضرونها

قال وقد حاول بعض الذين لم يسعهم الا الاقرار بصحة هذه المشاهد ان يعللوها من الطرق المعقولة ولكنهم لم يستطيعوا ردّها الى شيء من القواعد الطبيعية أو قواعد منافع الاعضآء على وجه مُقنِع . وذلك كالمائدة التي تدور وتزحف حول نفسها وقوائمها لاصقةٌ بالارض فانها لا بدّ لها ان تحرك بقوّة شديدة حتى تنتقل هذا الانتقال . وقد امتحنوا هذه القوّة فيها بأن عمدوا الى مائدةٍ خفيفة وضع الوسيط يديهِ عليها وامسكها احد الحضور ليمنعها من الحركة فحدث بينها و بين الذي امسكها مجاذبةٌ عنيفة واخيراً دفعتهُ عنها (كذا) واندفعت في حركتها . فجعلوا مكان الوسيط رجلاً آخر بقصد ان يجعلها تزحف بضغط كفّيهِ فكانت كفّاهُ تتزلجان عليها وهي ثابتةٌ في مكانها . فتبيّن ان هناك قوةً غير قوة العضَل فضلاً عن ان هذه الحركة قد تكون على عكس ما يقتضيهِ الظاهر كما في المائدة التي ترتفع عن الارض والايدي فوقها لا تحتها وكالامور التي تحدث من غير وجود يدٍ تُحدِثها مما يدلّ على ان في بنية الانسان قوةً تفعل في المادّة غير ما تفعلهُ الاعضآء بضغطها الا ان طبيعة هذه القوة لا تزال مجهولةً عندنا

وهناك توجيهاتٌ أُخر لبقية المسائل المذكورة لجأ في اكثرها الى التخرّص او التمحّل البعيد فأجتزأنا عن سردها تخفيفاً عن المطالع . وجملة

القول ان الامر لا يزال غامضاً حتى على اهل العلم ومن سلّم منهم بصحّتهِ فانما سلّم انقياداً لحكم الحواسّ من غير ان يكون على بيّنةٍ من كيفية حدوثهِ فاكبر العلمآء في ذلك والأُمّيّ متساويان لان كلاًّ منهما لا يرى الا ظواهر الامر والحقيقة محجوبةٌ عن كليهما والله اعلم

دلالة الاقوال على الصفات والافعال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرّس آداب العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة

(تابع لما في الجزء السابق)

ومنهم ابن درّاج الطُفيلي يتغنّى مفتخراً بصفة التطفّل طالباً لها طول البقآء ليتمتع بها قائلاً

لذةَ التطفيل دومي   واقيمي لا تريمي
انت تشفين غليلي   وتسلّين همومي

ومنهم الفضل بن سهل الذي اشتهر ببغضهِ للسعايات أجاب على سعاية ساعٍ بما دلّ على اخلاقهِ وهو قولهُ « نحن نرى ان قبول السعاية شرٌّ من السعايةِ لأن السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دلّ على شيءٍ وأخبر بهِ كمن قبلهُ واجازهُ فاتّقوا الساعي فانهُ لو كان في سعايتهِ صادقاً لكان في صدقهِ لئيماً اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة »

ومنهم القائل وقد حُرِّض على التقدم الى القتال فتأخر جبناً وهلعاً وقال يعتذر

وقالوا تقدم قلت لستُ بفاعلٍ أخاف على نخَّارتي ان تحطَّما
فلو كان لي رأسان اتلفت واحداً ولكنهُ رأسٌ اذا راح اعقما
ولو كان مبتاعاً لدى السوق مثلهُ فعلتُ ولم احفل بأن اتقدَّما
فأُوتِمَ اولاداً وأُرمِلَ نسوةً فكيف على هذا ترون التقدُّما

ومنهم عامر بن الطُفَيل المشهور بانجاز الوعد واخلاف الوعيد يصوّر اخلاقهُ في زجاجة قولهِ

ولا يرهب ابن العم ّماعشتُ صولتي ويأمن مني سطوة المتهدّدِ
واني وان اوعدتهُ أو وعدتهُ لَيكذبُ ايعادي ويصدق موعدي

ومنهم الطفَيليّ يخبر عن نفسهِ مظهراً من حرفتهِ ما ليس يدركهُ سواهُ بقولهِ

نحن قومٌ اذا دُعينا أَجبنا ومتى نُنْسَ يدعنُا التطفيلُ
ونَقُلْ علَّنا دُعينا فغبنا وأتانا فلم يجدنا الرسولُ

ومنهم ابن هنْدُو دُعي الى مجلس شراب عند ابي الفتح بن احمد كاتب قابوس وكان يكره الخمر فكتب يعتذر

قد كفاني من المدام شميمُ صالحتني النُّهى وتاب الغريمُ
هي جهد العقول سُمّي راحاً مثلما قيل للّديغ سليمُ
ان تكن جنَّة النعيم ففيها من اذى السكر والخمار جحيمُ

ومنهم يعقوب بن اسحق الكندي الفيلسوف الشهير يظهر بخلهُ بوصاتهِ التي قال منها « والدينار محموم فان صرفتهُ مات والدرهم محبوس فان أخرجتهُ فرَّ والناس سخرة نخذ شيئهم واحفظ شيئك »

ومنهم متنبئ الغرب المعروف بابن هانئ وكان متهماً بمذهب الفلاسفة فافصح عن مذهبهِ حيث يقول في مدح المعزّ لدين الله مؤلهاً اياهُ

ماشئتَ لاماشاءَت الاقدارُ   فاحكم فأنت الواحد القهارُ

ومنهم ابن ابي معقِل الحجازي الرحَّالة لامتهُ زوجتهُ ام نهيك على اسفارهِ فخاطبها بقولهِ

أأُمَّ نهيكٍ ارفعي الطرْف صاعداً   ولا تيأسي أن يُثريَ الدهرَ بائسُ
سيغنيكِ سيري في البلاد ومطلبي   وبعلُ التي لم تحظَ في الحيّ جالسُ

ومنهم ابن جُبَير الرحَّالة البلنْسي فانهُ بعد ان طاف البلدان تزهَّد وأعرض عن الدنيا وجمع المال وفطم نفسهُ عن المطامع ومن قولهِ ينصح المتهالكين على الدنيا

عجبتُ للمرء في دنياهُ تطمِعهُ   في العيش والاجل المحتوم يقطعهُ
ويجمع المال حرصاً لا يفارقهُ   وقد درى أنهُ للغير يجمعهُ
تراهُ يُشفِق من تضييع درهمِهِ   وليس يشفق من دينٍ يضيّعهُ

ومنهم ابن الجصَّاص الجوهري وكان يُرمَى بالبلَه دخل يوماً منزل ابي اسحق الزجاج وقد اجتمع الناس لعزآئهِ لما توفّيت زوجتهُ فقال والله يا ابا اسحق لقد سرَّني هذا . فدهش ابو اسحق والحاضرون وسألهُ بعضهم يا هذا كيف سرَّك غمّهُ وغمّنا . قال بلغني أنهُ هو الذي مات فلما صحّ عندي انها امرأتهُ سرَّني ذلك فانقلب المأتم الى ضحك

ومنهم المخزومي الشجاع المدرَّب يصوّر للناس تمثال شجاعتهِ واقدامهِ بقولهِ

وما يريد بنو الاغيار من رجلٍ   بالجمر مكتحلٍ بالنبل مشتملِ

لا يشرب الماءَ الا من قَلِيب دمٍ ولا يبيتُ لهُ جارٌ على وجلِ

ومنهم ابن مالك القُشَيريّ من اجواد العرب لامهُ خالهُ لانهُ أَنهَب الناسَ مالَهُ بعكاظ ثلاث مراتٍ فقال

يا خالِ ذَرْني ومالي ما فعلتُ بهِ وخذ نصيبك منهُ انني مُودي

فلن اطيعك الَّا أَن تُخلّدَني فانظر بكيدك هل تستطيع تخليدي

الحمد لا يُشترَى الا بمكرمةٍ ولن اعيش بمالٍ غيرَ محمودِ

ومنهم يحيي بن خالد البرمكي فانهُ يريك صورة الكرم بجوهر وصفهِ لهُ قائلاً « اعطِ من الدنيا وهي مقبلة فان ذلك لا ينقصك منها شيئاً . واعطِ منها وهي مدبرة فان منعك لا يبقي عليك منها شيئاً » . وقد أُعجب بهذا القول الحسن بن سهل فقال « لله درُّهُ ما أطبعهُ على الكرم وأعلمهُ بالدنيا »

وعكسهُ ابو الأَسوَد الدُؤَلي وهو احد بخلاء العرب الأَربعة المشهورين وقد أَيّد ذلك بقولهِ « لو اطعنا المساكين في اموالنا كنا اسوأ حالاً منهم » وبقولهِ

ولا تطمعَنْ في مال جارٍ لقربهِ فكلُّ قريبٍ لا يُنال بعيدُ

ومنهم ابو الاسد الحمَّاني من شعراء الدولة العباسية رثى ابرهيم الموصلي شيخ المغنين في عصرهِ بما طُبع عليهِ من حبّ اللهو والاسترسال مع الهزل وان لم يكن في المقام ما يناسب هذه الصفة فقال

تولَّى الموصليُّ فقد تولَّت بشاشات المزاهر والقيانِ

وايُّ بشاشةٍ بقيت فتبقى حياة الموصليّ على الزمانِ

ستبكيهِ المزاهر والملاهي وتُسعدهنَّ عاتقة الدنانِ

ومنهم شيخنا العلاَّمة الشيخ ناصيف اليازجي الطيّب الذكر يقول في خطبة كتابهِ مجمع البحرين « انني قد تطفَّلت على مقام اهل الأدب من أيمَّة العرب بتلفيق احاديث تقتصر من شَبَه مقاماتهم على اللقب » ويقول في موضع آخر « انني تلقيت ما تلقيتهُ من فضلات اولئك القوم » ونحو ذلك مما يدلّ على تواضعهِ وعدم دعواهُ . بل نسمع قولهُ ممثّلاً ما كان عليهِ من حب التمحيص والتثبُّت في العمل والتروّي في الحكم

لا تعطِ حكمك ما بدا لك أمرُهُ حتى تقوم على حقيقة أمرهِ

وقولهُ يذكر كراهتهُ للهجاء وهي احدى الصفات الكريمة التي اشتهرت عنهُ وامتاز بها عن اكثر الشعراء

وقد شقّ نظمُ الشعر عندي لعلَّةٍ يشقُّ على قلبي الصبور جحودُها

من الشعر مدحٌ قلَّ من يستحقُّهُ وصنعة هجوٍ لستُ ممَّن يُريدُها

ولولا ضيق المقام لأوردنا لك من اقوالهِ ما تمثل بهِ سائر صفاتهِ واخلاقهِ الحسان حتى تستطيع ان تأخذ لهُ منها صورةً كاملة

ومنهم أمير شعراء مصر سعادة محمود باشا سامي البارودي الشهير ينشد قصيدتهُ الفخرية وكأنهُ يصوّر لك خفايا أمرهِ بأشعة رنتجن ويقول منها

أنا ابن قولي وحسبي في الفخار بهِ وان غدوتُ كريم العم والخالِ

ولي من الشعر آياتٌ مفصَّلةٌ تلوح في وجنة الايام كالخالِ

فانظر لشعري تجد نفسي مصوَّرةً فيهِ فحسن مقولي خط تمثالي

الى غير ذلك مما نراهُ في كثيرين مرآة النفس ومجهر الخفايا فان البحتري قد

وُصف باعجابهِ الكثير وعُرف بافتخارهِ بالانشاد حتى انهُ لما انشد المتوكل قصيدتهُ التي قال فيها

عن اي ثغرٍ تبتسم وبأيّ كفٍّ تحتكم

ولى مغضَباً لتعرض الصيمري لهُ واهانتهِ اياهُ . وليت الكاتب المفتنن امين افندي الحدّاد اشار في كلامهِ عن البحتري الى مساوئهِ الشعرية لتُجتنَب كما اشار الى محاسنهِ لتُتَّبع على نحو صنعتم حضرتكم في كلامكم عن شعر المتنبّئ لأن ذلك من أهم شروط النقد اليوم

(ستأتي البقية)

آلة الكتابة

نشر بعضهم في احدى المجلاّت الفرنسوية فصلاً مطوّلاً في تأريخ اختراع هذه الآلة وما تدرّجت فيهِ من الاطوار الى ان بلغت ما هي عليهِ في هذه الايام فرأينا ان نقتضب منهُ البيان الآتي لما فيهِ من الفائدة التأريخية قال

اول من خطر لهُ صنع آلة تقوم مقام القلم في الكتابة رجل انكليزي يقال لهُ هَري مِلّ وكان تسجيل اختراعهِ في ٧ يناير سنة ١٧١٤ . وقد ورد في صورة التسجيل ان هذه الآلة مُعَدَّة لرسم حروف منفصلة يُطبع الواحد بعد الآخر بحيث يمكن ان يُنسَخ بها كل ما يراد على الورق أو على الرقّ فيجيء على كمال النقاوة كما لو كان مطبوعاً في المطبعة . اما وصف هذه الآلة وتركيبها فلم يرد عنهُ كلام . وجاء بعدهُ جُونُوّ من اهل فرنسا فاخترع

آلة اخرى سنة ١٨٢٧ لنقل الكتابة على طريقة الاختزال فجعل لها عشرين مجسّاً يُضغَط عليها فتطبع على سير من الورق ملفوف بين اسطوانتين. وحروفها رسوم مركبة من نُقَط بعضها مستديرة و بعضها على شكل معيّن (١) اذا ضُمّ بعضها الى بعض دلّت على اللفظ المنقول

و بعد ذلك بسنتين اخترع رجل اميركاني من مشيغان يقال لهُ وليَم أوستِن بُرت آلةً سماها بالتيپوغراف الا ان هذه الآلة لم تُصنَع واتفق بعد تسجيلها في واشنطون ان احترق محلّ التسجيل فذهبت رسومها في جملة ما تلف في المحل المذكور. وجاء بعدهُ واحدٌ من اهل مرسيليا يقال لهُ پرُوجَين فاخترع آلةً هي اول آلةٍ مُثّلت بالصناعة وسماها بالقلم الكتيپوغرافي وهي تتألف من عدة امخال مرتَّبة بشكل دائرة في طرف كلٍّ منها حرف وكل مخلٍ يتصل بهِ قضيب معقوف الطرف على شكلِ محجن يُجذَب من طرفهِ فيحرّك المخل وينطبع الحرف على الورق وتحبَّر الحروف بوقوعها على حشيةٍ من النسيج كالتي تُستعمَل في الختم

وتتابع المخترعون بعد ذلك فتفننوا في هذه الآلة على ضروبٍ شتى حتى اربى عدد الاختراعات على خمسين اختراعاً. واغرب اولئك المخترعين رجلٌ اعمى يقال لهُ پيّار فُوكُو كان استاذاً في الكنزڤين وهو ملجأ مشهور للعميان في باريز فانهُ اخترع آلةً تطبع في الورق حروفاً ناتئة تصلح لقرآءة العميان ثم اخترع آلةً اخرى للكتابة المألوفة احرز عليها نوط ذهب

(١) هو شكل ذو اربع اضلاع متساوية اثنتان من زواياه حادّتان واثنتان منفرجتان

في معرض لندرا سنة ١٨٥١ . واول آلةٍ صالحة للاستعمال هي التي اخترعها الفْرِد بيش سنة ١٨٥٦ وقد عرضها في معرض لندرا سنة ١٨٥٧ واُجيز عليها بالنوط الذهبيّ ايضاً لكنها لم تكن سريعة العمل ولا تامّة الإِحكام ولذلك لم يشع استعمالها بين الجمهور . وبقي امر هذا الاختراع واقفاً عند هذا الحدّ الى سنة ١٨٧٣ وهي السنة التي اخترع فيها شُولس الاميركاني الآلة المعروفة بهِ فلم يأتِ آخر سنة ١٨٧٤ حتى بيع منها ٤٠٠ آلة وبلغ عدد المستعمل منها سنة ١٨٧٧ ثلاثة آلاف آلة . الا انها لم تكن مستوفيةً كل شروط الكمال في الرسم فأخذ المتفننون من اهل الصناعة يحسّنون فيها حتى بلغت اشكالها نحواً من اربعين شكلاً كلٌّ منها يخالفها في زيادة بعض القطَع أو تبديل بعضها الى ان بلغت غاية ما في الامكان من احكام الصنعة وسهولة الاستعمال . انتهى تحصيلاً

اما استخدام هذه الآلة في الكتابة العربية فأول ما رأيناهُ في باريز سنة ١٨٩٥ وكانت الحروف مصنوعةً على شكل الحرف الباريزي المعروف فلم يكن فيها شيءٌ من الحسن . وزاد على ذلك أن الصانع جعل القياس الافقي لجميع الحروف واحداً فكان الحيز الذي تقع فيهِ البآء من كلمة بعض مثلاً هو نفس الحيز الذي تقع فيهِ الضاد وحيئنذٍ اضطرَّ ان يمطّ البآء الى ما فوق القدر بكثير وان يقصّر الضاد الى حدّ ان تشوّهت صورتها وقس على ذلك بقية الحروف . وقد حاول غير واحدٍ عندنا استنباط طريقةٍ يمكن بها ان تأتي الحروف على ما يقرب من اشكالها المتعارَفة فمنهم من قسمها الى طائفتين ومنهم من قسمها الى ثلاث تجتمع كلٌّ منها تحت قياسٍ

واحد فتقرَّب العمل بذلك من الكمال بحيث لم تبقَ في النفس حاجةٌ من هذا القبيل . لكن بقي ان كثرة الاختلاف في صور الحروف العربية تمنع مجيء الكتابة بالآلة مشابهةً تمام المشابهة لكتابة القلم أو للحرف المطبوع ما لم يزد عدد الحروف الى حدٍ يصعب معهُ استعمالها وتفوت المزية المقصودة من هذه الآلة وهي سرعة العمل . والظاهر ان هذا الامر لا علاج لهُ الا ان تُرَدّ الحروف في الاستعمال الى ابسط اشكالها وفي ذلك من التسهيل على المطابع ايضاً ما هو اعظم اهميةً مما ذُكر. ولنا في هذا الشأن كلامٌ سنعود اليهِ ان شاء الله

مطالعات

زبيب الموز — لا ريب ان الموز من انفع المآكل وألذّها وافضلها غذآءً للجسم لان تركيبهُ يشتمل على جميع الموادّ اللازمة لقيام البنية ولذلك فان كثيراً من قبائل الزنوج تقتصر عليهِ في غذآئها فتستغني بهِ عن سائر انواع الاطعمة . وهو فضلاً عن ذلك من النبات الذي ينمو من تلقاء نفسهِ ويكثر كثرةً عجيبة فترى الالوف منهم يقتاتون بهِ من غير ان يكلفهم ادنى علاج

وقد قرأنا في احدى المجلات العلمية ان الاميركان اخذوا من عهدٍ قريب يجففونهُ بقصد الادّخار لانهُ اذا كان تامّ الجفاف يحتمل ان يبقى الى ما شآء الله بدون ان يتغير شيءٌ من خواصهِ . اما طريقة تجفيفهِ فهي انهُ بعد ان يجرَّد من قشرهِ يعرَّض لمجرى هوآءٍ حارّ خالٍ من الرطوبة مدة ايامٍ متوالية حتى يبقى على نحو عُشر مادّتهِ الاصلية حجماً ووزناً ولا يبقى فيهِ

من المآء الا ما يماثل هذه النسبة . واذ ذاك ينضَّد في براميل او صناديق او يهرَّم تهريماً ناعماً ويُجمَع بعضهُ على بعض ويُجعَل في عُلَب مختومة كما تُجعَل بعض اللحوم المقدَّدة

وهو يؤكل اما على حالهِ واما بادخالهِ في انواع المخبوزات او غيرها من ضروب الحلوآء فيكون طعاماً صالحاً مرطّباً واذا خُلِط بدقيق الحنطة او شيء من انواع القطانيّ كالذُرَة والحِمَّص وغيرهما كان عنهُ طعامٌ لذيذ ذو حلاوةٍ خفيفة عطريّ الريح قابلٌ لأن يُحفَظ مدةً طويلة

الانتفاع بالبيض المكسَّر — ورد على جمعية الزراعة الالمانية من مكاتبها في بخارست ما يأتي قال

لا يخفى ان النقل في هذه البلاد اكثر ما يكون بواسطة العَجَل تجرّها الجواميس ومن اعظم الحاصلات التي تُرسَل الى الخارج البيض فانهم يجمعونهُ ويأتون بهِ الى مكان المبيع على الطريقة المذكورة بدون مزيد احتياط فيصل وقد تكسّر جانبٌ منهُ فيأخذهُ تجار هذا الصنف بثمن بخس ثم يحتالون في حفظهِ والانتفاع بهِ بما لا ينحطّ عن البيض الصحيح . وذلك انهم يفصلون المُحّ من الآح اي الصفرة من البياض ويجففون كلاًّ منهما على حِدَتهِ فيرصِدون المحّ لأن يُستخدَم استخدام المُحّ المملوح الذي يُستخرَج من بيض البط الصيني في صنع بعض اصناف الاغذية وتربية جوارح الصيد وطير الاقفاص . واما الآح فيُستعمَل في الصباغ وصنع الحلويات واصناف الكعك وصناعة التصوير الشمسي وغير ذلك مما

يُستعمَل فيهِ عادةً

واما التجفيف فيكون في طواجن تُحمَى الى ٥٠ درجة من الحرارة . ومقدار ما يتحصل من الآح هو نحو ٣٠ كيلغراماً من كل الف بيضة فترُدّ بعد التجفيف الى ٣ كيلغرامات من الآح الجامد وما يتحصل من المُحّ هو نحو ١٦ كيلغراماً فيصفو منها بعد الجفاف نحو ٨ كيلغرامات

فوائد

ننقل عن الجرائد اليومية الفائدتين الآتيتين لمكانهما من الاهمية وشهادة التجربة بصحتهما وهما بالحرف

جآء في المؤيد الأغر ما يأتي

فحم الخشب ضد عام لسائر السموم

كتب الكولونل ارنولت في مجلة (النور) البارزية فصلاً تحت هذا العنوان نلخص منهُ ما يفيد حضرات القارئين راجين منهم كما رجا الكولونل من قرّآئهِ ان يعمموا نشر هذه الفائدة الجليلة خدمةً للناس وتخفيفاً لبعض مصائبهم قال ما ملخصهُ

« أُصيب خمسة عشر شخصاً في مدينة تولوز بتسمم فدعوا لهم الطبيب (سيشجرون) فاعطاهم مآءً مخلوطاً بفحم وأمرهم بالشرب منهُ ريثما يعالج مصاباً من بينهم كان مشرفاً على الهلاك . وكان أقصى علاجهِ لهُ ان ادخل الى معدتهِ بالآلة مآءً مخلوطاً بالفحم فلم يمضِ بضع ساعات حتى شفي

الجميع شفآءً تاماً . فدهشت من مطالعة ذلك الخبر ولم يسعني الا الكتابة لذلك الدكتور لأتحقق من الامر وهو الآن رئيس جرّاحي مستشفيات تولوز فكتب اليّ يؤكد لي الخبر وزادني علماً بان جدّهُ المسيو (تويري) كان عالماً صيدليًّا ولهُ في هـذا الموضوع تجارب ثمينة نشرها في رسالة لتتميم فائدتها منها

« مزج المسيو (تويري) امام ثلة من الناس مقداراً من الاستركنين يكفي لقتل جمـلة أشخاص بمسحوق فحم الخشب وابتلع ذلك المزيج فلم يُصَب باقلّ ضرر »

واعاد هذا الكيماوي هذه التجربة امام لجنة من اعضاء جمعية العلمآء الباريزية

وبنآءً عليهِ فمن خشي على نفسهِ التسمم او الهلاك عقب افراطهِ في شرب الكحول (الاسبرتو) في الاشربة الروحية فليسحق فحم الخشب سحقاً جيداً بواسطة زجاجة يدحرجها عليه بضغط مناسب ثم يتعاطى منهُ كل عشر دقائق ملعقة أكل ويستمرّ على ذلك حتى يحضر الطبيب

(فريد وجدي)

وجاء في جريدة اللوآء الغرآء ما نصهُ

دوآء البق

يشكو الكثيرون من سكان الاحيآء الوطنية وخصوصاً القديمة منها مضار تلك الدويبّة المسماة بالبق فانها كثيراً ما تعكر صفآءهم وتقلق منامهم

فيهجرون منازلهم فراراً منها

ولقد زرنا بالامس احد اقسام العاصمة فوجدناهُ مستجمعاً كل شروط النظافة غير اننا وجدنا الواحاً من الواح التين الشوكي ملقاةً في جوانب غرفة حضرة المأمور . فعجبنا من وجودها ففهمنا ان هذه الغرفة كانت ملأى بالبق حتى كان الجلوس فيها ليلاً او نهاراً صعباً جدًّا وعند ما وضع الواح التين الشوكي فيها لم يمضِ الا ثلاثة ايام حتى انقطع دابرهُ من الغرفة انقطاعاً كلياً. ثم لما علم بان هذه الدويبة ملأت المنزل الذي يسكنهُ سعادة منسفيلد باشا حكمدار العاصمة عرض على سعادتهِ قبل سفرهِ الى انكلترا فائدة الواح التين الشوكي في قطع دابر البق فبادر سعادتهُ باحضار كمية وافرة من هذه الالواح ووضعها في الغرفة وتحت سرير النوم فلم تمضِ الا ايامٌ قليلة حتى ابقَ البق ولم يعد له أثر

اسئلة واجوبتها

لوسينا (جزائر الفيلبين) — لدى مطالعتي في اللغة الاسبانيولية عثرت على بعض كلمات مشابهة للعربية مثل قولهم Aceite اي زيت وتُلفَظ « أَثِيّتي » و Azaitunas اي زيتون وتُلفَظ « أَثَيْتُوناس » و Almahada اي المخدّة وتُلفَظ « أَلْماهادّا » . فهل هذه الكلمات مستعارة من الاسبانيولية الى العربية ام بالعكس

جرجي سالم

الجواب — لا ريب ان هذه الالفاظ مما اخذهُ الاسبانيول عن

العرب لانها كانت عند العرب قبل الفتح الاسباني بزمنٍ لا يُدرَى عهده ُ بل منها ما هو مُشترَك بين العربية واخواتها من اللغات السامية حتى تجد لفظة « زيت » بالعبرانية في سفر التكوين الذي هو اقدم كتاب في الارض الا انها هناك بمعنى الزيتون فتصرّفت العرب في مدلولها واشتقّت منها لفظة الزيتون . على ان اللغة الاسبانيولية خليط من لغاتٍ شتى منها العربية وقد قدَّر احد علمآئها ان المئة كلمة منها فيها ستون من اللاتينية وعشر من اليونانية وعشر من القوطية وعشر من العربية والعبرانية والعشر الباقية من الطليانية والفرنسوية ولغة الهندَين

آثار ادبيّة

برنامج اخوية القديس مارون — هو عنوان كتابٍ جليل عُني بتأليفهِ حضرة الاديب المجتهد يوسف افندي خطّار غانم رئيس الاخوية المشار اليها في بيروت توخى فيهِ جمع تراجم المشاهير وذوي الشأن من رجال الطائفة المارونية . وقد رتبَّهُ في ثمانية اجزآء كبيرة صدر الجزء الثاني منها في هذه الايام وهو مخصوص بتراجم الرؤسآء من اساقفة الطائفة المشار اليها . وقد افتتحهُ بترجمة غبطة البطريرك الحالي والتنويه بذكر مآثرهِ الجليلة واردفها بتراجم الاساقفة المعاصرين وعددٍ كبير ممن اتصلت بهِ تراجمهم من الاساقفة الغابرين . فجآء سفراً نفيساً يسفر عن فضل رؤسآء هذه الطائفة وما لهم من المناقب الاثيرة والاعمال الخطيرة وهو يشتمل على ما يقرب من ٤٠٠

صفحة كبيرة وفيهِ من الرسوم ما يزيد على ٦٠ رسماً

فنثني على همة المؤلف بما يستحقهُ هذا العمل الكبير ونحرض سراة هذه الطائفة وكبرآءها على شدّ ساعدهِ لاتمام هذا التأليف الذي هو عنوان مآثرها وسجلّ مفاخرها كما نحرّض الادبآء ومحبي الآثار التاريخية من عامّة السوريين على مقتنى هذا الاثر الوطنيّ الكريم الذي يحقّ ان يتنافس بهِ جمهور الأُمّة ويأتمّ بهِ كبرآؤها في اكتساب المحامد والذكر المقيم

تهذيب النفس — انتهت الينا نسخةٌ من خطبةٍ بليغة بهذا العنوان لحضرة الرياضيّ الفاضل جرجس افندي همّام احد اساتذة الكلية الشرقية في مدينة زحلة القاها على طلَبة المدرسة المشار اليها في الاحتفال السنوي في ١٧ تموز (يوليو) من السنة الحاليّة . وقد تصفحنا الخطبة المذكورة فاذا هي مجموع حِكَمٍ ناصعة ونصائح رائعة نزّلها بمنزلة درسٍ اخير للطلَبة حضّهم فيهِ على المثابرة والجدّ في طلب الكمال والاشتغال بالعلم سحابة الحياة واتخاذ ما تناولوهُ في حلقات الدرس ذريعةً الى تفهُّم ما وراءهُ من دروس الطبيعة واستشفاف ما تستبطنهُ من الاسرار والحقائق . وذلك بعبارةٍ فصيحة الالفاظ حسنة السبك حريّةٍ بان تكون درساً آخَر لهم في البلاغة يحتذون مثالها في الانشاء بعد الاستبصار بما تضمنتهُ من الفوائد .

فنثني على حضرة الاستاذ لما جادت بهِ قريحتهُ من الدُرَر الغوال وما يبذلهُ من الدأب في تنشئة العقول مما استحقّ بهِ جميل الشكر في الدنيا وجزيل الاجر في المآل

فكاهات

الكولونيل جيرار (١)

— ٢ —

ولما رأى جيرار اصحابهُ يعجبون بحديثهِ اشرأبّ وفتل شاربيهِ وقال أمّا وقد سركم سرد حديثي فدونكم حديثاً آخر عما اصابني في مدة الحرب مع الانكليز في البورتوغال فاننا حصرنا الانكليز في تورس ڤيدراس ستة اشهر من اكتوبر سنة ١٨١٠ الى مارس سنة ١٨١١ . وكنت في تلك المدة قد جلت في تلك النواحي وحصلت على رسم وافٍ يمثل مراكز الانكليز وقواتهم فيها فوضعتهُ امام المارشال ماسينا وكنت اودّ ان اقنعهُ بوجوب الهجوم ولكن لسوء الحظ كان مارشالية فرنسا مختلفي الكلمة متنافري القلوب فكان ناي يكره ماسينا وماسينا يكره جينو وهلمّ جرًّا فسببت هذه الاختلافات تأخير الحرب حتى نفد زادنا وتشتت شمل الفرسان لقلة العلف ولم ينتهِ فصل الشتآء حتى جرّدنا تلك البقعة من كل ما يؤكل ولم يبقَ لنا سوى التقهقر . الا ان ذلك لم يكن بالامر السهل لسببين اولهما ضعف جنودنا واعيآؤهم والثاني قوة العدو ومعرفتهُ محل الضعف فينا . ولم يكن خوفنا من ولنتون البطيء الحركة بل من عصابات اللصوص الذين جعلوا يقتربون منا ويحيطون بنا عند ما تحققوا ضعف خيولنا وقلة المؤونة بين ايدينا فكان اذا وقع واحدٌ منا في ايديهم اهلكوهُ لا محالة . وكان من اشهر اولئك الطغاة رجلٌ خبيث يدعى مانولو يقود زمرةً من القطاع وقد نظمهم بتدريب عسكري ورتب حركاتهم ترتيباً محكماً فكانوا يهابونهُ ويحبونهُ وطار صيتهُ حتى بلغ معسكرنا فكانت الجنود ترتعش من مجرد ذكر اسمهِ

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

قلت ان انسحابنا من تلك البقعة لم يكن بالامر السهل ومع ذلك فلم يكن لنا سبيلٌ آخر ولذلك صمم المارشال ماسينا على اخلآء تورس نوڤس و بدأ بنقل المؤن والذخائر والمرضى الى كويمبرا . وكان يستحيل اجرآء ذلك سرًّا فعلم بهِ عصابات اللصوص وكانوا يقتربون من معسكرنا ليعارضوا مسيرنا ويجتاحوا ما تصل اليهِ ايديهم . وكانت كتيبة من كتائبنا ومعها فرقة من الفرسان قد عسكرت على بعدٍ منا الى جنوبي نهر تاغوس فصار من الواجب اعلامهم بانسحابنا ليوافونا لئلا يقعوا ضمن دائرة العدو وتنقطع بينهم و بيننا المواصلات . اما انا فاستعظمت الامر واخذت افكر في ما عسى ان تكون الطريقة التي يبتكرها ماسينا لابلاغ الخبر اليهم لان السعاة لا يمكنهم اجتياز تلك المسافة والفرَق الصغيرة لا تنجو من ايدي شراذم اللصوص واذا لم يصل الخبر في وقتهِ يصبح اربعة عشر الفًا من جنودنا غنيمة باردة للاعدآء . ولم يخطر لي قط ان الكولونيل جيرار سيكون لهُ الشرف بان يكون هو منقذ اولئك الجنود وانهُ يُتمّ عملاً من اعظم الاعمال المجيدة

وكنت في ذلك الحين من اركان حرب المارشال ماسينا وكان لهُ اثنان سواي على جانب من الشجاعة والذكآء اسم الواحد كورتكس والآخر ديبلسس وكانا اكبر مني عمراً واصغر مني في ما بقي . فقسم لنا ماسينا اعمالنا بالسوية فكان لكلٍ منا يوم للاستكشاف والقيام بالتدبير الذي يرتئيهِ ماسينا . ففي صباح اليوم الذي اخبركم عنهُ كنا نحن الثلاثة نتناول طعام الصباح معاً وكانت نوبة كورتكس في الخدمة فبعد ان فرغ نهض فامتطى صهوة جوادهِ وانطلق فكان آخر العهد بهِ . اما ماسينا فقضى يومهُ وعلامات القلق بادية على وجههِ وعند منتصف الليل كنت واقفاً بجانب خيمتهِ فاقترب مني ووقف ويداهُ على صدرهِ ولبث صامتاً نحو نصف ساعة شاخصاً الى الجهة الشرقية منا كانهُ يخترق الظلام بنظرهِ الحادّ ثم بدت عليهِ علامات القنوط فلعن وشتم ثم حوّل ظهرهُ ودخل الخيمة كما خرج منها

وفي الصباح الثاني كانت نوبة ديبلسس فسار الآخر راكبًا جوادهُ ولكنهُ لم يرجع ايضاً فكانهُ اصابهُ ما اصاب كورتكس . وقضى ماسينا ليلتهُ كالسابقة غير ان

قلقهُ كان اقوى وغيظهُ اشدّ . ولما لاح فجر اليوم الثالث ناداني فوجدني بقربهِ ورأيت الدمع يترقرق في مآقيهِ حين قرأ في وجهي استعدادي للموت في طاعتهِ فقال هلمَّ يا عزيزي جيرار . ثم اخذني بلطف من يدي فاوصلني الى نافذة متجهة الى الشرق واشار بيدهِ فتبعت اشارتهُ فرأيت على مقربةٍ منا معسكر المشاة تليهِ الفرسان وثمَّ سهلٌ واسع تتخللهُ الكروم والاشجار وفي نهايتهِ سلسلة جبال لأحدها قمة مرتفعة ويحيط بهذه الجبال غاب كثيف من الاشجار الفضة في وسطها طريق واحدة تنساب في ظلمة الغاب انسياب الافعى . وكان ماسينا يشير الى القمة المرتفعة فقال هذه يا عزيزي قمة جبل سيرا دي مرودال فهل ترى شيئاً في اعلاها . قلت لا . فناولني منظارهُ وقال انظر . فقلت اني ارى شيئًا منضداً كانهُ غرفة صغيرة او بنآء غير تام . فقال هذا ايها العزيز بنآء من الحطب وضعتهُ حين كانت تلك البقعة في ايدينا ولا يزال في مكانهِ بعد ان رجعنا عنها فهذا يا جيرار يجب ان يوقد هذه الليلة . وها قد ذهب اثنان من رفاقك لهذه الغاية ولكن يظهر لسوء الحظ ان لم يبلغ واحد منهما القمة وهذه الليلة نوبتك فعسى ان يصادفك حظ اسعد من رفيقيك . ولم يكد يتمّ كلامهُ حتى حولت ظهري وهممت بالخروج بدون ان اسألهُ زيادة ايضاح فاستوقفني باشارة وقال لا بد ان اطلعك على السبب الذي من اجلهِ اسألك المخاطرة بحياتك . فاعلم ان اربعة عشر الفاً من عساكرنا بقيادة الجنرال كلوزل نازلة على بعد خمسين ميلاً الى الجنوب منا قرب قمة سيرادوسا وقد اتفقت مع القائد انهُ اذا رأى النار في القمة التي اريتك اياها يرتد للالتحاق بالمعسكر العام ويوقد ناراً على قمة الجبل الذي هو معسكر فيهِ علامة على فهمهِ رسالتي . ولم يعد في طاقتنا البقآء هنا فاذا لم يرحل سريعاً نضطرّ الى تركهِ فيصبح هو ورجالهُ فريسةً للعدوّ . وتراني حاولت مرتين ان ابلغهُ هذه العلامة وها انا احاول ذلك المرة الثالثة ولعلي هذه المرة انجح على يديك

ولا اقدر ان اصف لكم السرور الذي نالني عند ما علمت اهمية الامر الذي عهد اليَّ في القيام بهِ وعلمت انني ان قضيتهُ و بقيت حيًّا ازيد الى اعمالي الشهيرة عملاً آخر افتخر بهِ وان مت فاكون قد حاولت القيام بامرٍ يفوق تصور العقل

البشري . ومع انني لم اقل شيئاً فان جميع علائم البسالة ظهرت على وجهي ورآها ماسينا فأخذ بيدي وهزّها وقال دونك القمة والحطب فهما امامك لا يعوق سبيلك سوى عصابة اللصوص التي تعرفها فافعـل ما تراهُ احزم بشرط ان ارى النار تتقد على تلك القمة عند منتصف الليل . ولما فرغ من كلامهِ رفعت يدي للسلام العسكري وخرجت وانا لا اكاد أطأ الارض بقدميَّ تيهاً واعجاباً بنفسي . ولما بلغت غرفتي جلست حيناً افكر في كيفية المسير وقد ظهر لي ان الذي منع رفيقيَّ من الوصول هو كون الطريق محاطاً باللصوص الشديدي الانتباه . ثم قست المسافة المطلوب اجتيازها على خريطة امامي فوجدت منها نحو عشرة اميال سهلية قبل الوصول الى حضيض الجبل ثم نحو اربعة اميال في منتصف الغاب وبعد ذلك منحدر الجبل ومع ان هذا المنحدر قصير المسافة فانهُ اجرد ليس فيهِ ما يستر اصغر حيوان اذا اجتازهُ . فتقررت لديَّ هذه المراحل الثلاث وعلمت انني اذا بلغت الغاب سالمًا يهون عليَّ قطع المسافة الباقية تحت ستار الظلام وحسبت انني اذا انتهيت من اجتياز السهل في الساعة الثامنة فيبقى لديَّ اربع ساعات لتسلق الجبل . ولما تأملت في السهل والطريق البيضاء في منتصفهِ علمت ان رفيقيَّ ذهبا فيهِ راكبين فكان ذلك سبباً لاهتداء الاعداء اليهما فاخترت ان يكون مسيري في غير الطريق ومع انني كنت املك ثلاثة من الجياد تفوق جياد المعسكر جميعهِ آثرت ان اسير راجلاً . ولكي اخفي لباسي ارتديت عباءة طويلة وجعلت على رأسي قبعة من القبعات العاديَّة . ولما اكملت اهبتي سرت بعد منتصف النهار فانسللت من بين فرساننا وقد اخذت تحت عباءتي منظاراً وغدارتي وسيفي ووضعت في جيبي قدَّاحةً وصوَّانًا وصوفانًا

وسرت اكثر من ثلاثة اميال بين الكروم بدون عائق فاستبشرت بالنجاح وقلت لا ريب ان مثل هذه المهام يجب ان توكل الى رجل ذي دراية وتبصر ليعرف كيف يقوم بها فكنت استعمل ذكائي الخارق في اجتياز الكروم متستراً تحت الاغصان الخضراء حتى اكملت اجتياز خمسة اميال وعلمت اني اصبحت في ارض العدو . ولما بلغت ذلك الحد رأيت امامي على مسافة قصيرة كوخًا عرفت للحال انهُ

مخصص لعصر العنب ورأيت امامهُ بضعة رجال وعربتي نقل يحمّلونهما براميل فارغة. فتقدمت ببطء الى ان حاذيت البيت وفحصتهُ بتدقيق ولكنني لم ارَ خطراً يتهددني هناك فعزمت على مواصلة المسير. ثم القيت بنظري الى المسافة التي عليَّ ان اجتازها فوجدت ان الكروم تقلّ شيئاً فشيئاً الى ان تنقطع تماماً ويبقى عليَّ السهل الاجرد. ففحصتهُ بمنظاري فوجدت فيهِ على ابعاد مختلفة حراساً اقامهم اللص الشهير مانولو يرصدون الطريق بحيث لا يمر القط من هناك بدون ان يروهُ. فاستأت من وجود هذا المانع الغير المنتظر واسندت رأسي الى كفي مفكراً فلم ارَ افضل من انتظار الظلام لانساب ملتحفاً بجلبابهِ الكثيف. ولكنني علمت انني ان لم اجتز السهل كلهُ قبل غروب الشمس لم يبقَ لي من الوقت ما يكفيني لبلوغ مكان الحطب عند منتصف الليل فتحيرت في امري جدًّا وجعلت ابحث ضمن افكاري لارى الاصوب فيها. ثم نظرت الى البغال التي تجرّ تينك العربتين فرأيت رؤوسها موجهة الى الشرق فعلمت انها ستسير في الجهة التي اقصدها وللحال خطر لي ان اختفي ضمن احد تلك البراميل فيحملني الاعداء انفسهم الى حيث اريد فلم اتمالك ان تبسمت تبسم الاعجاب بنفسي لهذا الاكتشاف. وكان الرجال قد فرغوا من تحميل العربة الواحدة ووضعوا صفًّا من تلك البراميل في الاخرى ثم دخلوا الى الكوخ لعلهُ لتناول جرعة من المشروب. وعلمت ان الفرص تمر مر السحاب وعلى الحكيم ان يغتنمها قبل الفوت فقفزت باسرع من البرق من محل مخبإِي الى العربة الثانية واختفيت في برميل فيها ولكنهُ كان صغيراً على جسمي الضخم فجثوت فيهِ ككتاب ضمن وجارهِ. وما كدت اتم ذلك حتى سمعت الرجال قد عادوا الى عملهم وشعرت انهم يضعون براميل اخرى فوقي لم اعرف عددها او مقدارها. وافتكرت لحظة في كيفية الخروج من مخبإِي عند بلوغنا منتهى السهل ولكنني تركت حل ذلك الى وقتهِ معتمداً على ذكائي معتقداً ان الحظ الذي رافقني في الماضي لا يفارقني في الاستقبال. ولما استوفت العربتان حملهما ساقهما الرجال وسارت العربة التي انا عليها وكان كلما دارت عجلة من عجلاتها يخفق قلبي سروراً لتيقّني بلوغ الامنية.

اما الرجال الذين رافقوا العربتين فكانوا ثلاثة فقط وقد علمت ذلك من حديثهم وكانوا يتكلمون بلغة لم افهمها جيداً وانما علمت انهم يقصون احاديث هزلية لانهم لم ينقطعوا عن الضحك دقيقةً واحدة . وعلمت من معدل سير العربتين اننا نقطع ميلين ونصفاً في الساعة فبعد ان مضى علينا ساعتان تحققت اننا انتهينا من اجتياز السهل الخطر واننا بلغنا الغاب الذي يغطي سفح الجبل . فجعلت حينئذٍ اهتم في استنباط طريقة للخروج من مخبإي بدون ملاحظة احد واتباع الخطة التي رسمتها لنفسي من المسير في الغاب حيث تسترني اشجارهُ الغضة ويخفيني الظلام الذي بدأت طلائعهُ تطرد جيوش النهار . ولكنني شعرت حينئذٍ ان العربتين قد وقفتا فجأةً وسمعت اصواتاً كثيرة خشنة تكلم سائقي العربتين فقال واحد « اين . اين » . فاجابهُ آخر « ضمن برميل في هذه العربة » . فقال آخر « ومن هو » . فاجابهُ ذاك « ضابط فرنسوي رأيتهُ من ضمن الخيمة قد وثب من حيث لا ادري كانهُ من ملائكة الجحيم فدخل ضمن البرميل الفارغ ولما خرجنا لم نتعرض لهُ ولم نكلمهُ بل اكملنا عملنا وجئنا بهِ لنسلمكم اياهُ غنيمة باردة وها هو » . ولما قال هذا رفس بنعلهِ الحديدي خشب العربة حيث كنت انا . ولا تسلوا ايها الاخوان عما حلَّ بي في تلك الدقيقة لا من الخوف بل من نظري ذهاب تعبي سدًى وفساد النتيجة التي قدَّرتها فوددت من صميم قلبي ان يطلق احدهم غدارتهُ عليَّ لتخترق رصاصتها صدري فاخلص من ذلك الشقاء . ثم سمعت صوت سقوط البراميل التي كانوا يرفعونها عني ولما نظرت وجدت وجهين شرسين ينظران اليَّ وحديدتي بندقيتين موجهتين الى صدري فلم استطع حراكاً . ثم سحبوني من البرميل ولا بد ان هيئتي كانت مضحكة جدًّا لانهم قهقهوا كلهم حتى كادوا يقعون الى الارض . اما انا فملكت روعي شيئاً فشيئاً ونظرت اليهم باحدى نظراتي الحادة ليعلموا انهم ليسوا امام جبان يهاب الموت فاثر ذلك فيهم لانهم توقفوا عن الضحك وجعلوا يتأملون في وجهي . وتمكنت انا ايضاً من فحص آسريَّ فوجدتهم ثمانية اشخاص من عصابات اللصوص كما عرفتهم من لباسهم ولكلٍ منهم بندقية في يدهِ وغدارتان في وسطهِ . وكان

احدهم قد وضع فوهة بندقيتهِ في اذني وتهددني باطلاقها اذا ابديت اقل حركة ثم اقترب آخر فبحث في جيوبي واخذ منظاري والغدارة والسيف وانكى من ذلك انهُ اخذ الصوانة والقداحة والصوفان فلم يبقَ لي ما اتمكن معهُ من ايقاد النار لو ساعدني القدر و بلغت المحل الذي اقصدهُ

اجل انهُ كان حولي ثمانية من الاشقيآء عدا سائقي العربتين ولكن هل تظنون ايها الاخوان ان الكولونل جيرار قطع الامل او فقد انتباههُ ومهارتهُ . كلا وايم الحق وسأريكم الآن باية طريقة ازدريت بهم جميعاً . فانني وجدت البقعة التي نحن فيها يحيط بها جبلان من جهتين والطريق التي اتينا منها من الجهة الثالثة ومن الجهة الرابعة منحدَر حادّ . وادركت انني ان هربت من بينهم راكضاً ادركوني بسهولة فانهم معتادون معيشة القفار وتسلق الجبال ثم رأيت برميلاً ملقىً على الارض بجانب المنحدر فوثبت اليهِ وبأسرع من لمح البصر دخلت فيهِ ودفعتهُ بجسمي الى المنحدر فاخذ يتدحرج بسرعة غريبة ولما رآني القوم انجو منهم اطلقوا عليَّ بعض العيارات النارية فلم تصبني . واستمرّ البرميل يتدحرج بي بتلك السرعة حتى لم اعد اعي شيئاً من كثرة الدوران ومن اللطمات التي اصابت جسمي فرضضتهُ ولم افق على نفسي الا في وهدة مكسوة بالحشيش الاخضر تحتها جدولٌ من المياه دفعت اليها البرميل المتكسر لاوهمهم اني قضيت غرقاً

و بعد ان امتلكت روعي قصدت الغاب جاعلاً وجهتي الى اشدّ اشجارهِ كثافةً وجريت بقدر ما مكنتني اعضآئي المتألمة وزاد في قوتي ما سمعتهُ من مطاردة اعدآئي فجمعت ما بقي لي من القوة واوغلت في الغاب الى ان وصلت الى بقعةٍ فيـهِ فاستوقفني صوتٌ يقول باللغة الفرنسوية آه يا الهي . فاجفلت ونظرت فاذا بمضجع من اوراق الاشجار عليهِ فتىً مرتدٍ ثياباً مثل ثيابي ورأيت الدم يتدفق من صدرهِ . فنسيت ما انا فيهِ واقتربت اليهِ مدفوعاً بعامل الحنو ولما سمع وقع خطواتي ادار وجههُ اليَّ فعرفتهُ للحال انهُ ديبلسس رفيقي الذي ذهب الى حتفهِ قبلي بيومٍ واحد وعرفت من مجرد النظر اليهِ انهُ مائت . غير انهُ عرفني فصاح بما تبقى لهُ من

القوة آه يا عزيزي جيرار اتركني واذهب فاوقد النار . فقلت لهُ وهل معك صوانة وقداحة . قال هما في جيبي فخذهما واسرع فاني اموت سعيداً الآن بعد ان تحققت انك ستقوم بهذه المهمة واذا عدت سالماً فاخبر مارشالنا المحبوب انني عملت جهدي . فقلت واين كورتكس . قال وقع في ايديهم فمات شر ميتة فاذا وقعت مثلهُ فاخترق صدرك برصاصة ولا تستسلم لهؤلاء الطغاة ولكن اذا قابلت دي بومبال فثق بهِ . وقبل ان استفهم منهُ عن شيء آخر فاضت روحهُ . ورأيت رجلاً من أولئك اللصوص قادماً و بيدهِ الواحدة زجاجة خمر و بالاخرى بندقيتهُ وكأنهُ لم يرني لانهُ اقترب من جثة رفيقي ثم تنهد وقال وا اسفاه على شبابهِ فقد قضي عليهِ . فقلت لهُ من انت يا هذا . قال انا دي بومبال وقد احببت هذا الفتى فلما اصيب برصاصة من رجالنا سعيت في نقلهِ الى هنا ووسدتهُ هذا المضجع واسرعت لآتيهُ ببعض المنعشات ولكن اراني تأخرت فيا للاسف . فاستغربت كونهُ يشفق على رفيقي وهو من اعدآئنا ولحظ ذلك مني فقال لا تعجب من حالتي فاني احد المقرَّبين من مانولو الشهير وانا من اركان حربهِ ولكني مع ذلك اكرههُ لاعمالهِ الوحشية وانتظر الفرص للتخلص من عبوديتهِ مع عشرة من الرجال الذين يكرهونهُ ايضاً وقد اقسموا لي على الطاعة والانقياد . وقد خانني القدر في تخليص رفيقك هذا ولكنني سأبذل جهدي في مساعدتك انت بشرط ان تعدني بقبولي في معسكركم مع رجالي متى تخلصنا من مانولو . وقبل ان اجيبهُ بكلمة رأيت هيئتهُ قد تغيرت بغتةً فرفع بندقيتهُ وصوَّبها الى صدري وصاح بي قف ايها الفرنسوي الملعون ولا تتحرك . ولا شك انكم تتعجبون مثلي من هذا الانقلاب الفجآئي ولكنني ادركت حيلتهُ حالاً عند ما نظرت عدداً من رجالهِ يقتربون الينا من الجهة الاخرى فعلمت انهُ انما يفعل ذلك لكي لا يطلعهم على سرهِ . اما هو فاقترب مني وهمس في اذني قائلاً لا تخف واستسلم لله ولي . وكان الرجال قد اقتربوا فاوثقوني وحملوني ودي بومبال في مقدمتهم الى ان بلغنا محل اقامة زعيمهم مانولو فالفيتهُ رجلاً لم يخلق الله وحشاً ضارياً بهيئة افظع من هيئتهِ ولا جسم اضخم من جسمهِ . واحتال دي بومبال فاقترب مني وقال

مهما سألك الزعيم فاجبهُ صريحاً واصدقهُ المقال ولا تخف فقد آليت على نفسي ان اسعى في خلاصك . اما الزعيم فنظر اليَّ ضاحكاً وقال مرحباً بالكولونيل جيرار فقد شرفنا اعظم اركان حرب المارشال ماسينا اذ زارنا اول امس الجنرال كورتكس ثم تلاهُ الكولونل ديبلسس والآن انت فعسى ان يزورنا غداً المارشال نفسهُ . اما كورتكس فقد سمرناهُ الى شجرة بالقرب من هذا المكان وفتحنا مجرى للدم في صدر ديبلسس وسنرى بماذا نضيفك انت . ولست اعدك بالنجاة لاننا لا نترك اسرانا ابداً ولكن عليك ان تختار الميتة التي تريد ان تموتها فاما ان نميتك حالاً بسهولةٍ او ان نذيقك اصناف العذاب اذا احببت . فقلت لهُ وكيف يكون ذلك باختياري . قال ان هذا الامر يتوقف على اعطآئك اياي المعلومات التي اود الحصول عليها . فقلت لهُ اذاً لا بد من قتلي على كل حال . قال نعم ومن الضروري ان يتم ذلك قبل منتصف الليل . فابرقت اسرتي ولاح لديَّ شيء من الامل فقلت لهُ وهل تقسم لي ان تميتني قبل نصف الليل الميتة التي اختارها . قال ان كلمة الشريف البورتوغالي لا تحتاج الى قسم ومع ذلك فانا اقسم لك . قلتُ كفى فسل ما بدالك . وكانهُ قرأ في وجهي الحزم والصدق فجعل يلقي عليَّ مسائل كثيرة تختص بعدد جنودنا والمارشال ماسينا وكتائبنا وقوتنا وانسحابنا وما شاكل ذلك . فكنت اجيبهُ على كل هـذه الاسئلة بصدق ورضى مع انهُ كان اسهل عليَّ لو كنت في غير تلك الحال ان يُسلَّ لساني وتبتر اعضآئي من ان افوه بكلمة غير انني فعلت ذلك رغبة مني في الحصول على غايةٍ اسمى وفائدة اعظم . ولما اتمّ اسئلتهُ قال اشكرك لاجل ما اخبرتني بهِ وسأبلغ الخبر غداً الى ولنتون . اما انت فما بقي عليك الا اختيار الميتة التي تفضلها فعندنا الصلب والشنق والنشر وبتر الاعضآء والقتل بالرصاص فاية ميتة احب اليك . فقلت اني افضل ميتةً يراها العالم باسرهِ اذا امكن ليعلم الجميع ان الكولونيل جيرار لا يهاب الموت فانا اود ان يُحرق جسدي بالنار على قمة جبل مرودال . فضحك مانولو وقال اراك تود ذلك ليعلم ماسينا كيف تموت جواسيسهُ فليكن لك ما تشآء . قلت اشكرك يا مولاي وانما حسب وعدك لا ينفذ فيَّ الحكم قبل منتصف الليل .

قال وليكن لك ذلك ايضاً ثم نادى دي بومبال وهو من اركان حربهِ وقال خذ الاسير واعتنِ بهِ الى منتصف الليل ثم احملوهُ الى قمة مرودال واحرقوهُ هناك وسأذهب بنفسي لارى كيف يُفعل باوامري . وخذوا معكم جثة ديبلسس فاقذفوها عن منحدر القمة لتتقطع على صخورها لاني لا احب ان تعتاد وحوش هذه البرية اكل لحوم الفرنسويين المضرّة . وللحال وثب اليَّ دي بومبال فشدَّ وثاقي وضغط على يديَّ ليطمئنني ثم اخذوني الى جانبٍ حيث تركوا رجلين لحراستي . ومضت عليَّ ساعتان لم اذق في حياتي امرّ منهما ثم شعرت بشخصٍ يدنو مني وسمعت صوتاً يقول انهض يا جيرار لنضع هذه الجثة مكانك . فتبينت المتكلم واذا بهِ دي بومبال ومعهُ اثنان يحملان جثة ديبلسس الباردة فوضعوها مكاني والقوني على محمل خشبي انطرحت عليهِ وعلمتني الغريزة ان اظهر نفسي ميتاً . وبعد مدة قصيرة عاد دي بومبال ومعهُ عشرة من الرجال فحمل بعضهم جثة ديبلسس وحملني البعض الآخر وساروا بنا الى قمة مرودال فوضعوا الجثة على الحطب المنضد هناك واوقدوا النار فكدت افقد عقلي من شدة السرور . واذ ذاك اقترب مانولو ورجالهُ من الجهة الاخرى يضحكون ويرقصون كانهم في وليمة شائقة . اما دي بومبال ورجالهُ فحملوني وساروا بي الى شفير الوادي ولما بلغناهُ قال لي دي بومبال قد اتممنا مرادك والآن سنهب لك حياتك بشرط ان تأخذنا بصحبتك وتوصلنا بامان الى المعسكر الفرنسوي وتضمن لنا الدخول فيهِ . فاقسمت لهُ على ذلك . فقال اتبعني اذاً وسار امامنا من طريق خفي انحدرنا فيهِ الى حضيض الجبل فلم يشعر بنا احد لانهما كهم بالرقص حول النار . ولما ابتعدنا مسافة عدة اميال نظرت الى القمة فرأيت نارها تخترق الجوّ فطارت نفسي شعاعاً وتيقنت ان المارشال ماسينا كان في تلك الدقيقة يثني على بطلهِ جيرار . ثم حانت مني التفاتة الى جهة الافق الجنوبية فرأيت نوراً يرتفع من قمة جبل سيرادوسا فعلمت ان الجنرال كلوزل قد فهم معنى النور على قمة مرودال فاضرم نيرانهُ علامةً للمارشال ماسينا انهُ وعسكرهُ قد فهموا ما خاطر جيرار بنفسهِ ليبلغهم اياهُ